المقياس : تاريخ تونس المعاصر –02–

المستوى :السنة أولى ماستر تاريخ

تخصص :تاريخ المغرب العربي المعاصر

- **السداسي الثاني**

:

المحاضرات المبرمجة :

- **المحاضرة الثالثة: النضال السياسي التونسي بين موقف السلطات الإستعمارية والحرب العالمية الثانية (1933– 1945)**
- **المحاضرة الرابعة :نشاط الحركة الوطنية التونسية بعد الحرب العالمية الثانية 1945– 1951.**
- **المحاضرة الخامسة :النضال التونسي بين المفاوضات و المقاومة والإصطدام :1949–1954.**
- **المحاضرة السادسة : المفاوضات الثانية والإستقلال: 1954– 1956**

المحاضرة الثالثة :النضال التونسي بين موقف السلطات الإستعمارية والحرب العالمية الثانية : (1933– 1945)

جمع أسلوب الادارة الاستعمارية خلال هذه المرحلة بين احتواء الوضع بإصلاحات واتباع سياسة القمع أمام تطور النشاط النضالي الحزبي وكذا العمل النقابي والجمعوي، ومن أبرز الخطوات التي اتبعتها سلطة الحماية لمواجهة الوضع نذكر :

-حل الحزب الدستوري في 13 ماي 1933 ، واعتقال زعمائه –الحبيب بورقيبة والماطري وابو قطفة وإبعادهم إلى برج القصيرة في 02 سبتمبر 1934 ، ومنع جرائده الوطنية الثلاث الصادرة باللغة الفرنسية " صوت التونسي " و " العمل التونسي " و" صوت الشعب " ، وقمع التونسيين عن طريق المجندين السنغاليين "[1].

أولا –حكومة الجبهة الشعبية وتعاملها مع الوضع التونسي :

-انفراج الوضع بتونس سنة 1936 بعد وصول حكومة الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا بانتخاب " ليون بلوم على رأسها ، وطرح اولوية إصلاح الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المستعمرات ، فقدحاول المقيم العام أرمون قيون Aemond Guillon القيام بإصلاح الوضع التونسي عبر قانون 06 أوت 1936 الذي مكّن من تكوين الجمعيات ، وخلال 12 ماي سنة 1936 قام المقيم العام بزيارة إلى وسط البلاد وجنوبه وتفاوض مع زعماء الحزب الدستوري الجديد الموقوفين ، وتصريحه باستعداده للتفاوض الجدّي معها ، وعلى إثرها تم الإفراج عن القادة السياسيين المعتقلين يوم 22 ماي 1936[2] ، وكان قانون 1936 قد فتح مجال حرية الصحافة ،وحرية الإجتماع وتكوين الجمعيات مماساهم في تطور الجمعيات ووصول عددها إلى 94 جمعية سنة 1937[3].

-زيارة –بياز فيانو – كاتب الدولة المساند لوزير الخارجية للشؤون التونسية والمغربية في فيفري 1937 إلى تونس وإبداء استعداده لإصلاح الإدارة ومشاركة التونسيين في شؤون البلاد ورفضه سياسة الإدماج، لكن وعوده اصطدمت بمعارضة غلاة الإستعمار مما أدّى إلى توقف الحوار وتوتر العالقة الدستوريين الجدد [4].

-نقمة غلاة المعمرين وضغطهم على سلطة الحماية والإيعاز لها باستعمال القمع ضدّ المحتجين مثل قمع المضربين بوحشية في بنزرت في 8جانفي 1938[5]، وما نتج عنه من موت حوالي 6 تونسيين وجرح 20 في مظاهرة قادها الحبيب بوقطفة ،واعتقال بعض رموز الحركة الوطنية ،ولكن هذه التجاوزات من طرف الحماية جعلت الحزب

---

[1] .زهير الذوادي ، تحولات العمل الوطني التونسي 1929-1939 ،ص 18.

[2] سمير البكوش ، الواقع السياسي بتونس من خلال الجمعيات الثقافية 1936- 1952،مركز النشر الجامعي منوبة، تونس ،2010،ص 31.

[3] . المرجع نفسه ،ص 29.

[4] .نور الدين الدقي ، تونس من الأيالة إلى الجمهورية ،ص 160.

[5] . احداث بنزرت مات فيها 6 تونسيين وجرح فيها 20 خلال المظاهرة قاده الحبيب بوقطفة انظر ، نور الدين الدقي ، تونس من الأيالة إلى الجمهورية ، ص 160.

الدستوري يدعو إلى عقد المجلس الملي يوم 13- 14 ديسمبر 1938 والمطالبة من جلّ النواب باللجوء إلى العصيان المدني والإمتناع عن دفع الضرائب وأداء الخدمة العسكرية [6].

– قيام إدارة التعليم والأوقاف بمراقبة التعليم في أوساط الزيتونة والصادقية وإيقاف على البهلوان في مارس 1938 وفصله عن عمله في المدرسة الصادقية كأستاذ بالمعهد الصادقي في مارس 1938[7]،وإغلاق المعهد الصادقي نتيجة تضامن الشبان مع أستاذهم ،واعتقال بعض رموز الحركة الوطنية مما تسبب في انتفاضة 08 أفريل 1938 التي تمثلت في مظاهرات ضخمة أمام الإقامة العامة، ومظاهرات مماثلة في أماكن عديدة من تونس[8].

-إصدار أوامر في جويلية 1938 تنصّ على خنق الصحافة التونسية والجمعيات خاصة التي تم تأسيسها إثر قانون الجمعيات 1936 ، ومحاكمة القادة الدستوريين المعتقلين ، ورغم تغيير المقيم العام وقدوم المقيم العام الجديد – ايريك لابون –فإن موقف السلطة الفرنسية ازداد تشددا إزاء الوطنيين حتى بعد إطلاق سراح المعتقلين عشية الحرب العالمية الثانية ، ولكن الحزب الدستوري واصل نشاطه وتمّ انعقاد دورة المجلس الكبير -29سبتمبر-28 نوفمبر 1938 بشكل عادي [9].

ثانيا : أوضاع تونس والحرب العالمية الثانية :1939– 1945:

شكلت الحرب العالمية الثانية منعرجا حاسما في مسار التاريخ الوطني التونسي بما أفرزته من تطورات سياسية داخلية وما أحدثته من تغيير في التوازنات الدولية ، وأثرها على النشاط السياسي للحزب الدستوري وعلاقة السلطة الفرنسية بالشعب التونسي ،ويمكن التعرف على مميزات الوضع وفق مراحل أبرزها :

1– المرحلة الأولى : 1939 – أفريل 1943 :

–لجأ الدستويون بعد تطورات أزمة أفريل 1938 إلى النضال السري بتكوين دواوين سياسية سرية للقيام بالنشاط الدستوري ، وهذا لم سيستثني قيامهم بتقديم عرائض منها العريضة التي تقدم بها وفد برئاسة الحبيب ثامر إلى البلاط يطالب فيها حكومة الباي بإعلان سقوط الحماية وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين ، وكذا المنشورات السرية، وأعمال التخريب باستهداف سور ثكنة القصبة 25 أكتوبر 1939 ، وحوادث قصر الهلال مما أدى إلى اعتقال مئات من الوطنيين [10]،أما قادة الحزب الدستوري القديم فواصلوا نشاطهم العلني بإصدار جريدته " الإدارة " إلى حدود 22 ماي 1940 تاريخ انقطاع الجريدة عن الصدور.

وفي سنة 1940 هزيمة فرنسا عسكريا أمام ألمانيا واستسلامها في جمادى الأولى 1359هـ/ يونيو 1940م ،وقد قرّ التونسيون عينا بالهزيمة الفرنسية وما نتج عنها من تنقيص الجيش الفرنسي ورجوع المجندين ،واستقرّت

---

[6] .نفسه ،ص 160

[7] .القى محاضرة في 10 مارس 1938 تحت عنوان " دور الشباب في المعركة "وكان لها صدى كبير حيث جمعت حوالي 700 تلميذ من كافة معاهد العاصمة فكان القرار إعلانا عن انطلاق حركة الشبان لتأييد استاذهم والتضامن معه .انظر: العياشي ، الزيتونة والزيتونيون ،ص 242.

[8] .زهير الذوادي ، تحولات العمل الوطني التونسي ،ص ص 170-171.

[9] . شارل اندري جوليان ، افريقيا الشمالية تسيير ،ترجمة المنجي سليم وآخرون ، الدار التونسية للنشر ،تونس ، 1976.ص 115-.

[10] .الحبيب ثامر ، هذه تونس ، ص 100.

بتونس لجنتان ألمانية وإيطالية لمراقبة تطبيق شروط الهدنة [11]، فاتبعت سياسة قمع الحريات وتعقب الوطنيين واعتقالهم وتجلّى ذلك من خلال مثول أعضاء الديوان السياسي الخامس – الباهي الأدغم ،الهادي خفشة ،...في 14 فيفري 1940 أمام المحكمة العسكرية بتهمة التآمر على أمن الدولة واعتقال حوالي 11 مناضلا من لجنة المقاومة – جويلية 1940 بتهمة التخريب وتوجيه رسائل إلى إذاعات أجنبية [12].

– تكوين الديوان السياسي السادس تحت قيادة الدكتور الحبيب ثامر في فيفري 1940 ، وضمّ الديوان الطيب سليم ورشيد وإدريس ، واستمرت في نشاطها للإستعمار ، وقد تقدم وفد برئاسة الدكتور الحبيب ثامر بعريضة إلى البلاط في 20 جوان 1940 يطالب فيها حكومة الباي بإعلان سقوط الحماية وإطلاق سراح المعتقلين في فرنسا ،وتم اعتقال سلطة الحماية الدكتور الحبيب ثامر والطيب سليم في 21 جانفي 1941 أثناء محاولتهما اجتياز الحدود التونسية الطرابلسية[13]،وفي السجن تلقى الحبيب ثامر من بورقيبة رسالة من حصن " سان نيكولا " حثه فيها على التعاون مع الحلفاء مشككا في قدرات القوات الألمانية والإيطالية على الإنتصار، وبعد اعتقال أعضاء الديوان السادس تمّ تأسيس الديوان السياسي السابع جانفي 1941 وتواصل نشاط هذا الديوان إلى حدود أكتوبر 1941 تاريخ اعتقاله .

ولم يكن نشاط الدستوريين القدامى يعرف توهجا بزعامة الثعالبي ولعل ذلك راجع الى موقف الثعالبي من حتمية هزيمة ألمانيا في هذه الحرب خاصة وأنّ أغلب الشعب التونسي كانت آماله معلقة على انتصار الألمان في الحرب إضافة إلى موقفه السابق من أحداث افريل 1938 ،كما عرفت المرحلة نشاط الطلبة الزيتونيون خلال هذه المرحلة بتوزيعهم للمناشير المحرّضة على المظاهرات والإضرابات وتأسيس صحف غير معترف بها ،وتعرّضهم للقمع الإستعماري وسجن بعضهم والبعض الآخر أبعد إلى الجنوب [14].

-منصف باي ودوره في الحركة الوطنية التونسية : في 19 جوان1942 اعتلى عرش تونس محمد المنصف باي[15] ، وكان بايا مثقفا تميز بمناصرته للحزب الدستوري واكتسب شعبية كبيرة نتيجة إبطاله بعض التقاليد والتشريفات في البلاط الملكي ، حيث قدم عريضة إلى حكومة فيشي في 04 أوت 1942 طالب فيها : باحترام السيادة التونسية -تأسيس مجلس استشاري تشريعي يمثل فيه التونسيون عددا كبيرا – تمكين التونسيين من جميع الوظائف العمومية – التساوي في المرتبات والأجور- التعليم الإجباري لكل التونسيين – إرجاع المراقبين المدنيين إلى دورهم الأصلي – مراجعة الإدارة المركزية وتنظيمها وفق النمط التونسي [16].

---

[11] . الفاضل بن عاشور ، المصدر السابق ،صر244.

[12] . مجموعة مؤلفين ، موجز الحركة الوطنية ...،ص 108.

[13] . الحبيب ثامر ، هذه تونس ،ص 100.

[14] .خليفة الشاطر وآخرون ، تونس عبر التاريخ ،ص 114.

[15] .هو ابن محمد الناصر باي زاول تعليمه الثانوي بالمعهد الصادقي ، وكان صديقا لعدد كبير من الزعماء الدستوريين الذين يقاسمهم وجهة ناظرهم ، وكانت له رغبة في ان يعمل على ان يكون " الباي الدستوري " للتفاصيل انظر عنه : القصاب : المرجع السابق ،ص 571.

[16] .للتفاصيل انظر : شارل اندري جوليان ، افريقيا الشمالية تسير ،ص 119.

كما نشط المجال الصحفي خلال هذه الفترة مع صدور جريدة " إفريقيا الفتاة " في 1-02 جانفي 1943 بترخيص من الألمان التي واصلت رسالة " تونس الفتاة " تضمن عددها صورة منصف باي ،كما كانت تسعى لتغطية نشاط جمعية الشبان المسلمين ، وصدرت منها عدة أعداد حتى وصلت الى 91 عدد كان آخرها بتاريخ 4 ماي 1943 ، وخلفتها جريدة " الشباب " بتاريخ 23 فيفري 1943 التي أشارت في أحد أعدادها إلى هدف الإستقلال [17].

وفي هذه الفترة تحولت تونس إلى مجال للحرب العالمية الثانية ومعارك طاحنة بين الحلفاء وقوات المحور من 09 نوفمبر 1942- إلى 12 ماي 1943 ، فتمتع التونسيون والباي والحركة الوطنية بحرية رأت الجماهير بأن فضلها يرجع إلى حسن نية المحور إزاءها ، وفي هذه الفترة أعلن الباي حياده وكان يسعى إلى تأكيد إرادته الملكية من خلال تشكيل وزارة قومية تونسية يرأسها محمد الشفيق بمساعدة الماطري والصالح فرحات في 13 ديسمبر 1942،وأبدى نيّة في التعامل مع الإقامة العامة.وانتزعوا تدابير منها الإفراج عن بعض المعتقلين السياسيين[18].وإلغاء أمر 30 جانفي 1898 المتعلق بامتلاك الأحباس بطريقة المعاوضة العقارية أو المالية [19].

، وكانت ميول الجماهير إلى دول المحور – خاصة الألمان – كما كان ذلك في الحرب العالمية الأولى ،ورغم التحذيرات الموجهة من طرف بورقيبة من السجن لتعاطفه مع الديمقراطيين وتقديره لميزان القوى فإنّ بعض الشباب المنضوين حول جريدة " الشعب " أعلنوا بكل وضوح صداقتهم للألمان وعداءهم للفرنسيين ،في حين أنّ الأغلبية كانت متحفظة ، وكان بورقيبة أكثر تحفظا من المحور وميلا للحلفاء فقد أطلق الألمان سراحه وناشده الإيطاليون أن يدخل في زمرتهم ،فقد حذر في رسالة وجهها إلى الدكتور الحبيب ثامر في 08 أوت 1942 من الإنسياق وراء الدعاية النازية داعيا إيّاه إلى الإتصال بأنصار ديغول [20].

وبعد نقل السجناء السياسيين إلى إيطاليا من قبل دول المحور ،حاولت ايطاليا للدخول في مفاوضات سياسية مع الحبيب بورقيبة لكنها باءت بالفشل أمام الموقف المتصلب الذي أبداه بورقيبة ، هذا الموقف الذي كان سببا في تأخير رجوعه الى تونس ، وأثناء تواجده بروما قام بتحرير مذكرة إلى الحكومة الايطالية متضمنة شرط الإعتراف بالإستقلال التام وفتح مفاوضات مع دول المحور ، وفي 06 أفريل 1943 تكلم في إذاعة روما ولمح إلى الإعتداءات الفرنسية وحذر التونسيين من المطامع الأجنبية ودعا إلى توحيد الصفوف حول العرش [21]،

---

[17] . البكوش ، المرجع السابق ،ص 108.

[18] الذين استأنفوا نشاطهم السياسي داخل السجن وقيامهم بالثورة داخل السجن تحت قيادة الدكتور الحبيب ثامر وسقط منهم عدد من الشهداء والجرحى مما جعل السلطات الاستعمارية تطلق سراحهم في 01 ديسمبر 1942 ، البهلوان ، المرجع السابق ،ص 95.

[19] .اندري جوليان ، المرجع السابق ،ص120.

[20] .خليفة الشاطر وآخرون ،المرجع السابق ،ص 115.

[21] .شارل اندري جوليان ، افريقيا الشمالية تسير ، ص121.

ولم يسمح له بمغادرة روما إلا بعد تدخل منصف باي وضغط الشعب التونسي وتظاهره أمام المفوضية الايطالية ، وكان رجوعه ورفقاؤه يوم 09 أفريل 1943 [22].

-المرحلة الثانية من : 7ماي 1943 – 16 أفريل 1945

لما دخل الحلفاء إلى العاصمة تونس في 7 ماي 1943 ضرب حصار جديد على الوطنيين ،ورأوا لضمان استمرارية العمل الدعائي في الخارج ضرورة استئناف نشاطهم في اروبا ومنهم وغادر مجموعة من الدستوريين تونس باتجاه برلين منهم : رشيد ادريس وحسين التريكي – إلى برلين وتمكنوا من تأسيس مكتب المغرب العربي ببرلين في -21 جويلية 1943 – وآخر بباريس وأصدروا صحيفة باللغة العربية والالمانية في برلين تحت عنوان " **المغرب العربي**" أشرف على إدارتها يوسف الرويسي ،تمكنوا من ربط علاقات مع شخصيات عربية مسلمة مثل : المفتي الحاج أمين الحسيني والامير شكيب ارسلانورشيد على الكيلاني [23] ، فقد حرص الوطنيون من خلالها على إبراز البعدين المغاربي والعربي ، متضمنة قضايا التعاون والتضامن بين مختلف البلدان العربية في إطار النضال المشترك ، [24] .

وتعرض المنصف باي إلى انتقام من طرف فرنسا ،فرغم ملازمة تونس الحياد وابلاغه ذلك رسيما لكلا الطرفين الحلفاء والمحور إلا أنه تم القاء القبض عليه واتهامه بالتعاون مع المحور ومعارضته سلطة الحماية وخلعوه من عرشه ونقل إلى جنوب الجزائر – الأغواط حيث اعتقل في 14 ماي 1943 ، ثمّ طلب منه بتاريخ 06 جويلية 1943 الإمضاء على وثيقة التنازل عن العرش وتم نقله إلى " تنس " بشمال الجزائر وبعدها الى مدينة " بو " بفرنسا يوم 17 أكتوبر 1945 [25].

كما شهدت هذه الفترة عودة نشاط الحزب الشيوعي التونسي ونشاطه الدعائي ، وظهور "**الحركة المنصفية** " التي تدعوا إلى عودة المنصف باي وتنظيمها لإضرابات منها إضرابات طلبة الزيتونة وأساتذة الجامع الأعظم عن التدريس في نوفمبر 1943 ، كما برز نشاط جمعية الشبان المسلمين " التي استطاعت أن تكسب بسرعة تأييدا كبيرا في أوساط طلبة جامعة الزيتونة وأساتذتها الشاذلي بن القاضي والفاضل بن عاشور...، والذين

---

[22] .الحبيب ثامر ، هذه تونس ،ص 103، . Zmerli Sadouk , Espoire et déceptions en tunisie 1942- 1943 . Maison Tunisienne de L'dition .Tunis . p61.

[23] . بالنسبة للأمير الحسيني كان متواجد ببرلين ، وشكيب أرسلان بجنيف – للتفاصيل انظر : إدريس الرشيد : في طريق الجمهورية : مذكرات ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2001.

[24] . الطاهر عبد الله ، الحركة الوطنية التونسية، رؤية قومية شعبية ،ص 212.

[25] تم اعتقاله في الاغواط بالجزائر ، وأجبر على كتابة وثيقة تنازله عن العرش ، ثم نقل الى مينة تنس ثم الى مدينة بو بفرنسا حيث ادركته المنية في 1 سبتمبر 1948 للتفاصيل انظر: مأساة عرش ، سلسلة من الحقايق التاريخية والوثائق السياسية ، تقديم :مكتب الاستعلامات ، اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري التونسي ، 1947/1367، ص 13.

أسسوا تنظيمين مع الجمعية المذكور للدفاع عن فلسطين تحت اسم :" لجنة الدفاع عن فلسطين العربية " ، وفرع المؤتمر الإسلامي بتونس لحماية القدس الشريف " [26].

أما الحزب الدستوري فقد شهد إعادة تنظيم شُعبه الحزبية ومظاهرات في الشوراع والإجتماعات الإخبارية والدورية .وإنشاء منظمة الشباب التونسي التي ضمّت آلاف التونسيين وإنشاء معسكرات تدريب لها [27].

و اتخذ الحبيب بورقيبة موقفا مساعدا للحلفاء مما جعله يفلت من العقاب ، وهذا ما بينته مقابلته مع الجنرال "مور" في 09 جوان 1943 ومحاولة إقناعهم بعدالة قضيتهم ،واستعاد الحزب مكانته بعد قيام الحبيب ثامر في 11 جانفي 1943 مديرا لجريدة " إفريقيا الفتاة " وأصبحت تمثل لسان الحزب الدستوري الجديد ، وتكونت إذاعة الوطن التي نادت بالتعاون مع ألمانيا لدحر الإستعمار الفرنسي وتحرير البلاد [28]، ومع جلاء القوات الأمانية عن تونس قامت اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني بمقتضى الأوامر الصادرة في 21 جوان 1943 و27 مارس 1944 إلى صبغ الصبغة التونسية على الكاتب العام للحكومة التونسية والذي أصبح يعرف بـ " الكاتب العام للحكومة "،وقدّم المقيم العام الجديد ماسط في فيفري 1945 إصلاحات لم تكن تناسب التطورات الجديدة وطموحات العمل السياسي والوطني التونسي حيث استحدث منصب وزير تونسي للشؤون الإجتماعية وإلغاء وزارة الأوقاف [29].

كما عرفت المرحلة تشكيل لجنة "مشتركة في 30 أكتوبر 1944 سميت **بلجنة الستين** تضم قيادات مختلف الفصائل الوطنية من الدستوريين والحركة المنصفية وأساتذة جامعة الزيتونة وممثلين عن الطائفة اليهودية ، وقد ضمّن مطلب الإستقلال الداخلي وإقامة نظام ملكي دستوري وأعلنت عن ذلك في 22 فيفري 1945 ضمن لائحة سميت " بيان الجبهة التونسية "[30]، كما حاولت القيادات الوطنية تعزيز نشاطها النضالي عبر قنوات كثيرة منها الشعب الدستورية والمناشير والجرائد ، إضافة إلى النشاط الجمعوي مثل جمعية الوداد الزيتوني التي ظهرت بتاريخ 21 مارس 1944بعد حصولهم على التأشيرة القانونية وسعي أصحابها إلى تنظيم مظاهرات لصالح الطلبة [31].

---

[26] .توفيق المدني ،حياة كفاح ، ج1 ،ص 435.

[27] . الحبيب ثامر ، هذه تونس ، ص 163. Zmerli.62p, cit,op

[28] .مجموعة مؤلفين موجز تاريخ الحركة الوطنية ،ص 116.

[29] . القصاب ، المرجع السابق ،ص 601.

[30] نور الدين الدقي ، تونس من الايالة إلى الجمهورية .ص 167.

[31] . البكوش ، المرجع السابق ،ص 109.

كما عرفت هذه المرحلة اتجاه التونسيين الدستوريين نحو تدويل القضية الوطنية ونقلها إلى المنابر الدولية وخاصة بعد ميلاد الجامعة العربية والأمم المتحدة ،وقرر الديوان السياسي إيفاد الحبيب بورقيبة إلى مصر في 26 مارس 1945 للتعريف بالمسألة التونسية [32]

ونجد أنّ الحزب الدستوري كثّف من نشاطه مستفيدا من انتصار الحلفاء في 08 ماي 1945 - تحرير العرائض – مظاهرات 08 ماي 1945 ،وفي المقابل استمرت السياسة الزجرية التي انتهجها المقيم العام الجنرال ماست(1943- 1945) بالرقابة على الصحف وتشديد الخناق على الحريات العامة، كما حاولت الإدارة الإستعمارية القيام ببعض الإصلاحات بإنشاء وزارة تونسية للشؤون الإجتماعية ، ومع ذلك فقد اعتبر الحزب الدستوري الإصلاحات محدودة وطالب بإلغاء الرقابة وإرساء الحريات العامة [33].

يبدو أن الحركة الوطنية في هذه الفترة واجهت صعوبات من طرف الإدارة الاستعمارية ، والمتمثلة في الإعتقالات التي طالت الشخصيات السياسية مثل قادة الحزب الدستوري ومنصف باي – والرقابة على النشاط الحزبي ، وهذا ما جعل الحزب الدستوري يقوم بتدويل القضية لكسب تأييد عربي ودولي .

---

[32] كانت رحلة بورقيبة خفية ، وكابد صعوبات ومتاعب في طريقه ووصل القاهرة في 26 أفريل 1945. الحبيب ثامر ، هذه تونس ،ص 105.

[33] .نفسه ،ص 117.

المحاضرة الرابعة :نشاط الحركة الوطنية التونسية بعد الحرب العالمية الثانية 1945– 1951.

أثرّت الحرب العالمية الثانية على الأحداث في تونس وفتحت المجال أمام تواصل الكفاح من أجل التحرير ،وتطورت معه الوسائل النضالية بالإنتقال من العمل السياسي عبر وسائل جديدة وتدعم النضال بظهور الجمعيات والتصعيد نحو العمل المسلح ويمكن ابراز ذلك فيما يلي :

-تنظيم الشَعب لحركة المقاومة بعد الاعتداءات التي قام بها الجيش الفرنسي مابين 1944- 1945[34]، ومنها **حركة الفلاقة** التي نشأت في الجنوب والساحل بعد الحرب وضمت عناصر متعددة النّزعات ،ومنها مقاومة فلاقة **"زر مدين"** الذين قاوموا السلطات الفرنسية أكثر من ثلاث سنين من 1945- أفريل 1948 ،كما تكونت جمعيات سرية كثيرة نابعة عن الحزب الدستوري الجديد كانت توزع النّشريات السريّة وتدعوا إلى المقاومة العنيفة وتدعمت بالتضامن بين قادة اللجنة التنفيذية للحزب وقادة الديوان السياسي للحزب الدستوري في ميدان الكفاح الوطني [35] .

1- تطور النشاط الجمعوي والنضال العمالي :

تدعمت الساحة الوطنية التونسية بنشاط جمعوي مكثف في الفترة من 1945-1950 من خلال تنظيمات وتأطير من جمعيات متعددة المشارب والأهداف منها : الإتحاد العام للفلاحة التونسيين ،الإتحاد التونسي للصناعة والتجارة ،الإتحاد النسائي التونسي ، والمنظمات الكشفية والمدرسية وغيرها ، والتي طوقت نظام الحماية من خلال مطالبها وإضراباتها [36].

- الإتحاد العام للشغل التونسي :

تكون الإتحاد العام للشغل التونسي في مؤتمر انعقد بالخلدونية في 20 جانفي 1946، بضم اتحادات " اتحاد النقابات المستقلة بالجنوب "،و" اتحاد النقابات المستقلة بالشمال "، و"اتحاد النقابات المستقلة بالوسط ،و"الجامعة العامة للموظفين التونسيين "،وانتخاب فرحات حشاد(1914-1952)[37] أمينا عاما لها ،وتركزت مطالب الإتحاد العام للشغل على الجانب الإجتماعي وإصلاح أوضاع العمال مثل :-العقود المشتركة والزيادة العامة في الأجور- أنظمة التقاعد -المنح العائلية ومجالس التحكيم و العطل الخالصة والأجر – المشاكل

---

[34]. لعل ابرزها حادثة الطابور في أوت 1945 ، حيث أطلقت أيدي جيش الطابور في شوارع تونس فهجم على السكان وقتل منهم الكثير ، ومهاجمة قوات الدرك الفرنسي لكان قرية "زر مدين " في شهر يوليو 1946 فعاثوا فيها فسادا ، انظر :الحبيب ثامر ، المصدر السابق ،ص 106.

[35] .المرجع نفسه ،ص 106.للتفاصيل أكثر عن الفلاقة أنظر :محمد ذويب ، الفلاقة واليوسفية من خلال المصادر الشفوية ،منشورات ستوميديا ،ط1،تونس ،2017،ص 105 وما بعدها .

[36] الدقي ، تونس من الايالة إلى الجمهورية ،ص 185.

[37] .للتفاصيل عن فرحات حشاد ونضاله انظر:عبد السلام بن حميدة ، الحركة الوطنية للشغيلة بتونس 1924-1956 ج2 ،ترجمة: رضا بسباس وآخرون ،دار محمد علي الحامي ،صفاقس ،تونس ، 1984. ص 8 وما بعدها

الإقتصادية المتعلقة بالمواد الغذائية – تقسيط الزيت – وملابس الشغل – تحسين وضعية العمال الفلاحين من حيث الأجر والمنح العائلية والعطل مدفوعة الأجر وتحديد حجم ساعات العمل لكل عامل [38].

وقد حرص الإتحاد بزعامة فرحات حشاد على إقامة علاقات مع كل القوى المساهمة في حركة التحرر الوطني ،وانضم إلى المنظمة النقابية التونسية الأجراء المنتمون إلى الحزب الدستوري الجديد والقديم وأساتذة من جامع الزيتونة ، هذا الإستقطاب للنخبة التونسية وعمّالها داخل التنظيم النقابي قد أعطى الإتحاد بعدا نقابيا وسياسيا ، فقد برز التقاطع بين الحركتين النقابية والوطنية في مستوى الأهداف والميدان وهذا ما يظهر في لوائح مؤتمراته وأبرزها ما دعا إليه الإتحاد في مؤتمر:15-16 -17 أفريل 1947 من :

-تأميم المؤسسات الكبرى العامة – توفير الشغل والقضاء على البطالة – التكوين الفكري والتعليم الإجباري – الإرتقاء بوضع العمال وتحسين القدرة الشرائية ، والتشديد على ضرورة حل المجلس الكبير و" تعويضه بمجلس وطني منتخب انتخابا حرّا مباشرا ، ويكون مجلس نيابيا غير منقوص النفوذ ولا النظر " وتكوين وزارة تونسية حقيقية غير صورية كاملة النفوذ والتصرف على قاعدة النظم الديمقراطية [39].

وتبلورت مظاهر التلاحم بين الحركة الوطنية في المؤتمر الثالث للإتحاد العام التونسي للشغل المنعقد مابين 15-17 أفريل 1949 بتونس حيث تشير لائحته العامة إلى :- تأميم المؤسسات الكبرى ذات المصلحة العامة – المقاومة الفعلية والناجعة للطلبة – الإعتراف بحق الشغل للجميع - ضرورة حل المجلس الكبير وتعويضه بمجلس وطني منتخب انتخابا حرا- تكوين وزارة تونسية حقيقية غير صورية كاملة النفوذ والتصرف على قاعدة النظم الديمقراطية [40].

كما أنّ هذه المطالب التي اهتمت بالفئة الشغيلة جعلت الإتحاد العام للشعل يسعى إلى التفطن إلى الحقيقة المؤلمة التي كانت وراء هذه المشاكل وأنّ سياسة الإستعمار هي المسؤولة الوحيدة عن ذلك ، وهو ماجعل التنظيم يربط اهتماماته النقابية بالسياسية عن طريق الإضرابات ضدّ الممارسات القمعية ومنها إضراب 23 نوفمبر 1950[41].

---

[38] . خليفة الشاطر وآخرون ، المرجع السابق ، ص135.

[39] . الدقي ، تونس من الأيالة إلى الجمهورية ،ص 179.

[40] . للاطلاع على اللائحة انظر: تونس من الأيالة إلى الجمهورية ،ص 179.-181 نقلا عن : جريدة " الحرية " 24 أفريل 1949 ، Boudali nouri, L'Union Générale Tunisienne du Travail .Souvenir et récits ,Imprimerie ElAsira ,Tunis 1998,p 322 .

[41] . خليفة الشاطر وآخرون ، المرجع السابق ،ص 138.

حيث عرفت هذه المرحلة تسارع الأحداث نحو فتح آفاق جديدة كانت بداياتها تحالف أطياف الحركة الوطنية التونسية وتوافقها حول المطالب في أول لقاء تاريخي بعد العرب العالمية الثانية ،وتدعيم نشاطها دبلوماسا عبر ممثليها في الخارج للتعريف بالقضية التونسية .

2–انعقاد مؤتمر ليلة القدر: انعقد بتونس في 23 أوت 1946 – الموافق ل26 من رمضان 1356– **مؤتمر ليلة القدر–** بحضور حوالي 300 شخص من ممثلي الأحزاب الوطنية ومختلف التنظيمات السياسية والإجتماعية والنقابات العمالية والزراعية ونقابات الموظفين وكذا الإتحاد العام للشغل التونسي بزعامة فرحات حشاد، وقد ترأس المؤتمر العروسي الحداد رئيس الدائرة الجنائية بمحكمة الوزارة ، وبعض أن درس الحاضرون حالة البلاد السياسية واستماعهم لمختلف الخطباء وافق المؤتمرون بالإجماع على ميثاق وطني أعلنوا فيه :

–بطلان الحماية الفرنسية على تونس باعتبار ان تونس كانت قبل 1881 دولة ذات سيادة مرتبطة بالخلافة العثمانية برابطة روحية أكثر منها سياسية وفق المعاهدات العديدة التي أبرمت مع الدول اللأجنبية ، وحيث أن الحماية قد استحالت بعد مضي خمس وستين سنة إلى نظام استغلالي استعماري لا يتفق مطلقا مع مصالح الشعب التونسي المعنوية ولا مع حقه في التمتع بالسيادة [42]–المطالبة بالإستقلال التام والإنضمام إلى الجامعة العربية، رجوع منصف باي وإطلاق سراح المساجين التونسيين ،استرجاع الأراضي من المعمرين ومنحها لصغار الفلاحين –الإعتراف باللغة العربية كلغة رسمية للبلاد وكلغة التعليم – انتخاب مجلس وطني تونسي تأسيسي يكون ذا سيادة تامة[43] .

وأثناء إلقاء صالح بن يوسف للكلمة اقتحمت القوات الفرنسية مكان الإجتماع فتوجه بن صالح إلى الجمهور الحاضرين بقوله : " هل أنكم موافقون على إعلان استقلال تونس " وأجابوا بصوت واحد : " الإستقلال الإستقلال" ، وتم اعتقال خمسين شخصا من الحاضرين[44]، وقد أعقب المؤتمر تنظيم إضراب عام دام ثلاثة أيام ،واحتجاجات رفع فيها شعار الإستقلال ،وسعيا وراء تهدئة الأوضاع قام المقيم العام **ماسط** بالإفراج عن الموقوفين ، وإعلانه عن إصلاحات في 21 نوفمبر 1946 أمام المجلس الكبير .

وفي 16 جانفي 1947قامت الحكومة الفرنسية بتعيين –جان مونص – مقيما عاما جديدا وتكليفه بتطبيق الإصلاحات المعلنة من طرف **ماسط** والمتضمنة:–إلغاء الرقابة على الصحافة واستئناف الإتصال بالدستوريين – زيادة عدد الوزراء التونسيين إلى 06 وزراء بدل أربعة ومنح الوزير الأكبر صلاحيات واسعة.وكانت هذه الإصلاحات صورية لا ترقى إلى المطالب الجوهرية التي كانت تنشدها الفئات الوطنية والجماهيرية ، وتم رفضها وأعلن التونسيون احتجاجاتهم ضدها .

---

[42] . عن لا ئحة المؤتمر بالتفصيل ينظر درمونة ، تونس بين الاتجاهات ، ص 168 .

[43] .مأساة عرش ، ص 220.

[44] .يذكر الحبيب ثامر أربعين شخصا انظر : الحبيب ثامر ، هذه تونس ،ص 106.

إضافة إلى تدعم النشاط الجمعوي منها الإحتفال بالمولد النبوي والمنظم من طرف جمعية قدماء المعهد الصادقي في فيفري 1947،واجتماع رياضي وتخصيص مداخليه لإعانة الطلبة التونسيين ،ونشاط الجمعية الخلدونية التي أصبحت تنشط محاضرات سياسية من طرف الفاضل بن عاشور والشاذلي بلقاضي في جانفي 1947 تم تنظيم محاضرة حول شكيب أرسلان ، وتعدد التظاهرات الثقافية المشارك فيها من طرف الجمعيات التونسية مثل الإحتفال بالعيد العالمي للشباب الديمقراطي يوم 21 فيفري 1949 ، ومؤتمر الثقافة الإسلامية المنظم من طرف الجمعية الخلدونية برئاسة الفاضل بن عاشور بتونس يوم 10 سبتمبر 1949 [45].

وبتاريخ 19 جويلية 1947 تم تعيين مصطفى الكعاك في منصب وزير أكبر وكلف بتشكيل الحكومة الجديدة ولكن الإصلاحات قوبلت برفض من طرف المعمرين وفشل الأمين باي الذي لم يكن يحظى بقبول من طرف التونسيين ،وتصاعد الحملات للمطالبة بإرجاع منصف باي إلى تونس حتى بعد وفاته حيث أقيمت له جنازة مهيبة في 06سبتمبر 1948 لم يحظ بها أي رجل دولة تونسي من قبل [46] .

3-الكفاح الخارجي – دعاية ودبلوماسية :عرف النضال التونسي على الجبهة الخارجية نشاطا مكثفا عن طريق الوفود والشخصيات الدبلوماسية للتعريف بالقضية التونسية في المنابر الدولية والاقليمية ويمكن إبراز هذا الكفاح وفق مايلي:

– اقتناع الهيئات التونسية بتولي الجامعة العربية الدفاع عن تونس ضمن القضايا العربية لدى الأمم المتحدة بعد التحاق الحبيب بورقيبة بالحبيب ثامر في مارس 1945 والقيام بنشاط دعائي في مصر وتأسيس مكتب للدعاية لقضية تونس في القاهرة تحت اسم "**مكتب الحزب الدستوري التونسي الحر**" ،وإصدار النشريات منها نشرية دورية باللغة العربية تتناول أخبار تونس [47]، لكن هذا النشاط توقف نجاحه على مدى التنسيق بين قيادة الداخل في تونس والممثلين بمصر باعتبار أنّ ذلك كان صعبا من أجل توحيد المواقف في الضغط على فرنسا داخليا ، باعتبار أنّ التطورات الداخلية والفرنسية على تونس كان لها تأثير أمام لجوء فرنسا إلى القوة في التعامل مع أحداث زر مدين بالقوة في جوان 1946، ومع ذلك فقد عرف النشاط الخارجي قفزة نوعية أمام تشكل لجنة "تحرير المغرب العربي" برئاسة عبد الكريم الخطابي في أواخر 1947،والتي تولّى أمانتها العامة الحبيب بورقيبة.ومكاتب أخرى ببغداد ودمشق وكانت بجانب المكتب مكاتب كل من حركة الجزائر وحركة مراكش ، كما كانت الحركات التحررية تعمل على تحقيق هدف واحد وتكافح عدوا واحدا ، فقد تم عقد مؤتمر في 17 فبراير 1947 والذي تضمن قرارت أهمّها استقلال أقطار المغرب ووحدتها وجلاء القوات الأجنبية عنها ورفض مشروع الإتحاد الفرنسي، والإنضمام إلى الجامعة العربية تمهيدا للوحدة العربية الكاملة وتوحيد المكاتب تحت اسم مكتب المغرب العربي [48].

---

[45] . شكل هذا النشاط جزءا من العمل النضالي باعتباره عرف بالقضية التونسية واكتسبت دعما شبانيا البكوش ، المرجع السابق ،ص 180

[46] . القصاب ، تاريخ تونس المعاصر ،ص 605.

[47] .الحبيب ثامر ، هذه تونس ، ص 110.

[48]-.خليفة الشاطر وآخرون،المرجع السابق ،ص 145.الحبيب ثامر ، المصدر السابق ،ص 111.

-انتقال الحبيب بورقيبة إلى نيويورك في ديسمبر 1945 والقيام باتصالات مع المسؤولين الأمريكيين والوفود الأجنبية بالأمم المتحدة للتعريف بالقضية التونسية بعد حصوله على تفويض من منصف باي بمنفاه في "بو pau " بفرنسا للتكلم باسمه وباسم التونسيين ،رغم أنّ الأمم المتحدة لم تنظر إلى القضية التونسية ولم تدرجها في جدول أعمالها سنة 1947 إلا أنّها حظيت بعطف وتأييد الكثير من الفئات في المنطقة ،كما اتصل الحبيب بورقيبة بعدد من الشخصيات من ممثلي الدول العربية ، و سعى لتعزيز الصلة بين حزب " مصر الفتاة" وحزب الوفد المصري .

-قيام فرحات حشاد زعيم المنظمة العمالية – الإتحاد العام للشغل -بنشاط تعريفي بالعمل النقابي التونسي من خلال محاضرة ألقاها بمقر جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا يوم 20 ديسمبر 1946 ، مبرزا دور الإتحاد العام التونسي للشغل في النضال ،كما ساهم في المؤتمرات العالمية الدولية للتعريف بالقضية الوطنية ، وشارك معه ضمن الوفد التونسي الحبيب بورقيبة في مؤتمرين منها المؤتمر النقابي للاتحاد العالمي بميلانو في أوائل جويلية 1949 وفي سبتمبر 1951 ، ثم في مؤتمر المركزية النقابية الأمريكية بسان فرانسيسكو ، حيث كان هناك تنسيق بين بورقيبة وحشاد من تعريف الصحافة الأمريكية والراي العام بتطلع الشعب التونسي إلى الإستقلال [49] ،إضافة الى انتقاد فرحات حشاد للحزب الشيوعي بعد تنسيقه مع القيادة الدستورية ، وتأييد الإتحاد العام للفلاحة التونسي إضراب الطلبة الزيتونة اللانهائي عن الدروس في ربيع 1950 ،وهنا بدأ يبرز التنسيق بين الإتحادات العمالية والطلبة لنداء الحزب الدستوري الجديد أثناء الاضراب الذي نظم يوم 10 مارس 1951 تضامنا مع المغرب الأقصى [50].

-بعث الحزب الدستوري لشعب دستورية في أماكن تواجد الجالية التونسية وخصوصا باريس معتمدين على الطلبة المتواجدين في المعاهد الفرنسية ،وقيام الحبيب بورقيبة بحملة دعائية بدول عديدة من العالم سنة 1951 بالهند باكستان ،وبض الدول الاوروبية مثل السويد وانجلترا ،برفقة فرحات حشاد لضمان مساعدة وتأييد دولي .

وتم الضغط على الحكومة الفرنسية من طرف الوزيرين التونسيين لعرض القضية التونسية على مجلس الأمن معتمدة في ذلك على البند الخامس والثلاثين للميثاق ، وقدم لوزيرين التونسيين رسالة إلى السكريتير العام للأمم المتحدة موقعا عليها من أعضاء الحكومة التونسية ،بناءا على المذكرة المقدمة إلى الحكومة الفرنسية بتاريخ 31 أكتوبر 1951 الموضحة لطريقة الحكم الذاتي ، وقد رفض **تريجفي لي** الامين العام للأمم المتحدة مقابلة الوزيرين التونسيين ،وبعد اجتماع من طرف مندوبو الدول الآسيوية والعربية في 22-02- 1952 عرض القضية التونسية على مجلس الأمن، ورغم ذلك فقد تم رفض القضية في اجتماع مجلس الأمن في 10 -04- 1952 لعدم توفر العدد الكافي من الأصوات لذلك [51].

---

[49] . الدقي ، تونس من الأيالة الى الجمهورية ،ص 181.

[50] . . Boudali,op .cit ,p 323

[51] . درمونة ، تونس بين الاتجاهات مكتب تونس الحرة ،ص 190- 193.

ساهم النضال السياسي على الجبهتين الداخلية والخارجية من طرف الدستوريين وكذا الجمعيات في تدعيم الساحة السياسة والضغط على السلطة الفرنسية في التعامل مع مطالب الدستوريين بجدية خاصة وان النضال السياسي اكتسب دعما داخليا بانضمام فئات كبرى للكفاح ،وتعريف بالقضية التونسية خارجيا وفي المنابر الدولية والإقليمية.

المحاضرة الخامسة : النضال التونسي بين المفاوضات و المقاومة والإصطدام :1949–1954.

كانت خطة الحزب الدستوري الجديد تعتمد على الحوار والتفاوض وقبول مبدأ التدرج مع استمرار الضغط الداخلي والخارجي على فرنسا ،مما ساهم في إجبار السلطات الفرنسية على التعامل مع الدستوريين والقوى السياسية بتونس والجلوس إلى طاولة المفاوضات التي شكلت لقاءا حددت معالمه المسيرة النضالية التونسية .

أولا –المفاوضات التونسية الفرنسية :

1–الظروف والعوامل المساهمة في المفاوضات :

– تأكد الخط المعتدل للحزب الدستوري الجديد بعد عودة الحبيب بورقيبة إلى تونس في سبتمبر 1949، وقيامه بجولة داخل البلاد واتصاله بمختلف فصائل الحركة الوطنية والمنظمات الوطنية لطرح فكرة الإستقلال الداخلي والمطالبة بإجراء مفاوضات مع فرنسا لتحقيق مطامح التونسيين .

– استرجاع الحزب الدستوري لهيمنته على الحياة السياسية بالبلاد ، في أواخر سنة 1949 وبداية سنة 1950 ،حيث امتدت شُعبه على كامل التراب التونسي [52].

–مراقبة السلطات الإستعمارية لنشاط الحزب الدستوري بحذر خاصة،ومنع بورقيبة من دخول منطقة التراب العسكري فيما عرف بحادثة الجرف في مارس1950 والتي أدّت إلى خيبة أمل الأهالي مما أدّى إلى قيام مظاهرات بمدنين والمناطق المجاورة [53].

–توجه الحبيب بورقيبة إلى فرنسا في 12 أفريل 1950 ،حيث عرض برنامجا سياسيا يتكون من سبع نقاط طالب فيها : بتشكيل حكومة تونسية دون مشاركة الفرنسيين ، –إلغاء الكتابة العامة والمراقبات المدنية والجندرمة الفرنسية – انتخاب بلديات مع تمثيل المصالح الفرنسية حيث توجد أقليات فرنسية –إحداث مجلس وطني ينتخب بالإقتراع العام لإعداد الدستور.

–تعيين مقيم عام جديد " لويس باربي" Louis Périllierوتكليفه بإجراء إصلاحات ، كما صرّح روبار شومان وزير الخارجية الفرنسية يوم 15 جوان "بأن مهمة المقيم العام الجديد تتمثل في أن يتفهم البلاد التونسية وأن يقودها نحو الإستقلال ".[54]

2– المفاوضات وتطورات الأحداث :

في إطار التحضير للمفاوضات مع فرنسا تكونت في 17 أوت 1950 حكومة تفاوضية تونسية يرأسها محمد شنيق ، وصالح بن يوسف وزيرا للعدل مهمتها إدخال التحويرات التي ينبغي أن تقود تونس على مراحل نحو الإستقلال الذاتي ، ولكنها تعرضت لصعوبات بسبب توتر الأوضاع ومعارضة بعض الشخصيات المستقلة والحزب

---

[52] . الهادي الشريف ، موجز تاريخ تونس ،ص 133.

[53] . محمد ذويب ،الفلاقة واليوسفية من خلال المصادر الشفوية ، تقديم : بشير اليزيدي ، سوتيميديا للنشر والتوزيع ، ط1 ، تونس ، 2017.،ص 93.

[54] . هذا التصريح لم يكن يقصد به وبار شومان الإستقلال التام بل الحكم الذاتي ، خليفة الشاطر وآخرون ، المرجع السابق ،ص 124.

الشيوعي واللجنة التنفيذية الحكومة ،ومناهضة القسم الفرنسي من المجلس الكبير لأيّ شكل من أشكال التفاوض ،وقد أثار اعتراض الوزراء على المثول أمام المجلس الكبير وعارض المشاركة في اللجنة المختلطة المكلف بالنظر في الميزانية مما تسبب في عرقلة عمل المجلس [55].

وكانت المفاوضات تجري في وضع متوتر خاصة وأنّ الوضع العام كان يغلب عليه عدم الثقة بين الطرفين وما عرفته تونس من اضطرابات منها نشاط"**لجنة صوت الطالب الزيتوني** " التي تأسست في فيفري 1950 ومناداتها بإصلاح التعليم الزيتوني ،وإصدار جريدة ناطقة باسمها وبرنامج تضمن 16 مطلبا سميّت الدستور الزيتوني الجامع ، ودخلت في كفاح عنيف المواقف ، نشأت منه صدامات بينهم وبين كثير من العناصر الوطنية [56].

ولم تتوقف الإضطرابات عند هذا الحدّ بل توسعت دائرة الاحتجاجات والإضرابات منها إضراب العمال الفلاحين في ضيعات النفيضة يوم 20 نوفمبر 1950 وما صاحبها من أحداث قمعية من طرف الشركة الاستعمارية فأسفرت عن 05 قتلى و30 جريحا، .

3-نتائج المفاوضات : أسفرت المفاوضات عن اصلاحات 08 فيفري 1951 التي لم تمس بمبدأ السياسة المزدوجة و تضمنت إسناد نصيب أوفر من الوزارات للتونسيين وأبقت على المراقبة الفرنسية ،وعدم إعطاء حق الشعب في اختيار ممثليه الحقيقيين ،وبهذا لم تكن الإصلاحات تحمل آمالا وتحقق مطالب التونسيين [57].

تعزز موقف الحكومة بتأييد الأمين باي في خطابه بمناسبة عيد العرش في 15 ماي 1951 الموافق لعيد العرش طالب فيه " بتحرير نظام السلطة التنفيذية وتركيزها على أساس تمثيل الشعب في هيئات منتخبة "،وضرورة استشارة الهيئات النيابية ، وأعرب عن أمله في الإنجاز القريب لهذا الإصلاح الذي لا يتنافى مع روح الإتفاقيات التي تربط فرنسا بتونس ،وعلى إثرها تحول فريق حكومي برئاسة محمدشنيق إلى باريس في 16 أكتوبر 1951 وسلم وزير الخارجية الفرنسية مذكرة يطالب فيها " بتخليص السيادة التونسية تخليصا كاملا "، وساند التونسيون المساعي التفاوضية من خلال إضراب عام بالبلاد،بتكاثف الجهود السياسية والنقابية بمشاركة الإتحاد العام للشغل وكذا الحركة الطلابية التي واكبت بدورها التطورات السياسية والعسكرية في مطلع الخمسينات ، ورأت الهيئات الطلابية ضرورة المشاركة مع السياسيين وتدعيمها للدستوريين في الكفاح الوطني عن طريق الإضرابات والإحتجاجات خاصة بعد ميلاد الإتحاد العام للطلبة وتلامذة تونس في 05 فيفري 1952 [58].

غير أنّ غلاة المعمرين ضغطوا على السلطة الفرنسية التي بلغت في مذكرة أرسلتها مصالح وزارة الخارجية الفرنسية إلى الوزير الأكبر في 15 ديسمبر 1951 تؤكد على مبدأ السياسة المزدوجة – أن يقبل التونسيون تمثيل المعمرين الفرنسيين ضمن المنظمات المنتخبة ،وإبقاء نوع من المراقبة الفرنسية على الحياة السياسية ،وأصرّت

---

[55] . القصار ، تاريخ تونس المعاصر ،ص 620.

[56] للتفاصيل عن المنظمة راجع ن الفاضل بن عاشور،المصدر السابق ،ص 269- 270، الدقي ، تونس من الأيالة الى الجمهورية ،ص 185.

[57] . الهادي الشريف ، تاريخ تونس ،ص 134.

[58]. محمد ذويب ، الفلاقة واليوسفية ، ص 94.

الحكومة الفرنسية على عدم التخلّي في المستقبل عن قيامها بعملها لفائدة مجموع المتساكنين بالأيّالة ، وهذا الإصرار أدّى إلى انقطاع المفاوضات.

ولم تكن هذه الإصلاحات نتيجة لمباحثات جرت من قبل الممثلين الحقيقيين للشعب التونسي ، بل تمّ إعدادها من طرف مكاتب وزارة الخارجية الفرنسية والإقامة العامة في تونس ،ولم يستفتى حولها الرأي العام الفرنسي ودخلت البلاد في إضراب عدّة أيام 21-23 ديسمبر 1951 والذي كان بدعم من الإتحاد العام للشغل التونسي والأحزاب الوطنية [59] .

كما عبّر الحبيب بورقيبة بعد اطلاعه على المذكرة بقوله : " ..أنّ الردّ الفرنسي يضع حدّا للتجربة التونسية المتمثلة في محاولة التوفيق بين رغائب الشعب التونسي ومصالح فرنسا العليا بتونس في كنف السلم والصداقة .وهو يقيم الدليل على سوء إرادة فرنسا أو عجزها ، ... لقد طويت صفحة من صفحات التاريخ التونسي ، وأنّ جواب السيد شومان يفتح عهدا من القمع والمقاومة مع ما يتبع ذلك من دموع وأحزان وأحقاد " [60].

ثانيا – المقاومة المسلحة :

دخلت تونس بداية من سنة 1952 مرحلة من الإضطرابات تواصلت خلال ثلاث سنوات تخللتها فترات من القمع والترويع ، حيث كانت الأجواء مهيّأة للمواجهة مع سلطة الحماية ، وصاحبها تحضير وتعبئة مختلف الفئات ضد الإستعمار ومقاومته ،فما هي التطورات التي عرفتها المرحلة ونتائجها ؟

1-ظروف وأسباب المقاومة :

-تعيين مقيم عام جديد – جان دو هوتكلوك Jean de Hautecloque في 13 ماي 1952 والذي جاء على متن باخرة حربية مصحوبا بعدد كبير من القوات العسكرية،واستعماله القمع والترويع ضد السكان،وكذا فشل الإصلاحات التي حاول تطبيقها ووجدت معارضة كبيرة من الوطنيين ولم ترقى إلى الإصلاحات الشاملة [61].

-إجماع الوطنيين على الحسم مع نظام الحماية وأنّ عهد الحوار قد ولّى ،ولا مجال للقبول بإصلاحات جزئية والمطالبة بالحكم الذاتي الذي وعد به **روبار شومان** ،ولو تطلب العمل العسكري فقد ترأس بورقيبة اجتماعا ببنزرت أعلن فيه " الإستعداد لبذل الدماء متى دعا الواجب لتحصيل الحرية والإستقلال " [62].

-رفض الإدعاءات الفرنسية وإصرار الحكومة التونسية على الهدف التحرري وتجاوبها مع التوجه الوطني ،وردّ رئيسها محمد شنيق على ادّعاءات الجانب الفرنسي في رسالة إلى وزير الخارجية الفرنسي **"روبار شومان"** بتاريخ 09 جانفي 1952 ، وشكوى أخرى في 14 جانفي 1952 ضدّ فرنسا لهيئة الأمم المتحدة في دورة الجمعية العامة

---

[59] . نور الدين الدقي ، المرجع السابق ،ص 189. -Ben salem Mohamed ,L'antichambre de l'indépendance 1947-1957.Tunis ,Cérés Production ,1988, p252

[60] القصاب ، تاريخ تونس المعاصر ،ص 624.

[61] . الهادي الشريف ، المرجع السابق ،ص 135.

[62] . الدقي : المرجع السابق ،ص 190.

بباريس والمطالبة بإدراج القضية التونسية،لكن فرنسا عارضت المسألة رغم الطلب الأمريكي لإيجاد حل للقضية التونسية مما فتح المجال أمام توتر العلاقات الأمريكية الفرنسية حيث نشرت فرنسا بلاغا في هذا الجانب في 06/ 10 /1952 جاء فيه " تقرر أننا لن نقبل أي تدخل في المسائل التي هي في جوهرها من اختصاص السيادة الفرنسية "[63]، كما دعا وزير الخارجية الفرنسي إلى إقالة وزارة محمد شنيق . وتكوين حكومة موالية لفرنسا ترأسها الصالح بكوش مما أثار غضب السكان .

-إيقاف جهاز القمع الفرنسي لمجموعة من النساء بباجة كن بصدد تكوين شعبة دستورية نسائية ، وانتظام مظاهرات في 17 جانفي 1952 في ماطر وبنزرت تصدَّت لها الجندرمة بالرصاص فأوقعت 54 جريحا بعد انعقاد اجتماع شعبي دعا فيه الحبيب بورقيبة الى الدخول في معركة حاسمة [64].

-منع المقيم العام الحزب الدستوري من عقد مؤتمره ،وإلقاء القبض على الحبيب بورقيبة في 18 جانفي 1952وابعاده إلى طبرقة مع عدد من الدستوريين مابين 150 وقياديَيْن من الحزب الشيوعي [65]، ورغم ذلك فقد انعقد المؤتمر بتاريخ 18 جانفي برئاسة الهادي شاكر وأصدر لائحة تطالب بإلغاء نظام الحماية ومنح تونس استقلالها وتاكيد المؤتمر على عوم الشعب التونسي لتحقيق هفه في التحرر بما اوتي من قوة [66].

-تنظيم الإتحاد العام للشغل التونسي لإضرابات عمالية واحتجاجات ضد القمع الإستعماري ،حيث أصبح قوة بديلة بعد اعتقال زعماء الحزب الدستوري ،وتولّي فرحات حشاد قيادة الحركة الوطنية من 18 جانفي إلى5 ديسمبر 1952 تاريخ اغتياله من طرف المنظمّة السرية المسلحة اليد الحمراء الفرنسية[67] التي كانت تتمتع بحماية البوليس الفرنسي ،وقد أثار اغتياله دهشة وحزن التونسيين بأكمله كما أثار امتعاض الرأي العام العالمي وتفاقم معه الأسى والأحقاد ضدّ الإستعمار الفرنسي ،خاصة وأنّ الإغتيال كان الهدف منه ضرب الحركة الوطنية التونسية[68].

2-الإستعداد للمقاومة والكفاح:

كانت خطة الكفاح تقتضي الاستفادة من رصيد المتطوعين في حرب فلسطين 1948والمتدربين على فنون القتال باكتسابهم مهارات عسكرية وتشبعهم بروح وطنية ورفضهم السّيطرة والإحتلال من جهة ثانية فإنّ المحاربين قد استفادوا من خبرة عسكرية بعد احتكاكهم ببعض المحاربين من دول عربية ساعدهم ذلك على تجذير الوعي

---

[63] . انظر : علي البهلوان ،تونس الثائرة ، ص 18.

[64] . القصار ، المرجع السابق ،ص 626

[65] .نفسه ،ص 626.

[66] . مجموعة مؤلفين ، موجز الحركة الوطنية التونسية ،ص 154.

[67] .كونها الاستعماريون الفرنسيون من الغلاة النشطين في حزبي " التجمع الفرنسي " و " الحضور الفرنسي " ، ومن اشهر وحدات الدفاع الذاتي تكونت في بداية 1952 جمعت صفوفها من عناصر من الشباب التونسي وقدماء المحاربين وأفراد من البوليس معتمدة الإرهاب للرد على المقاومة التونسية وترهيب المواطنين واغتيال المناضلين للتفاصيل ينظر : ، موجز الحركة الوطنية التونسية ، ص 156. Hamza Raouf Hassine ,Communisme et Nationalisme en Tunise , De La Libération a L'indépendance 1943- 1956 .Université de tunis 1.1994 , p 65.

[68] بن حميدة ، الحركة الوطنية النقابية الشغيلة ،ص 21.

العام لطرد المحتل من البلاد [69]،إضافة إلى استفادة الحركة المسلحة من مخزون السلاح الذي خلفته دول المحور بعد احتلالها لتونس،ومن خيرة المتطوعين الذين شاركوا إلى جانب الجيش أو الفيلق الشمال الإفريقي بسوريا ،والإعتماد على تبرعات المتطوعين وجمع الأسلحة المتوفرة لديهم للقيام بحرب العصابات وتخريب المنشآت الفرنسية – ووجود الدعم اللوجيستي من المعسكرات التي كان يرابط فيها اللاجئون التونسيون بليبيا ،ومساهمة استقلال ليبيا سنة 1951 في تنشيط حركات نقل السلاح إلى الجنوب الذي أصبح منطقة ترزح تحت الفوضى التي غذاها التهريب الفردي والمنظم للأسلحة [70].وفي هذا الجانب تمّ تكوين هيئة للمقاومة يشرف عليها المناضل النقابي الدستوري أحمد التليلي بإشراف عشرة نواب للجهات تكفلوا بتنظيم الكفاح المسلح بالتنسيق مع المجموعة التونسية في مصر وطرابلس للحصول على أسلحة خفيفة .

3–سير المقاومة – ثورة الشعب: مباشرة بعد مؤتمر 18 جانفي 1952 المنعقد من طرف الحزب الدستوري برئاسة الهادي شاكر وإعلان الحزب الدستوري التصعيد والإنتقال إلى مرحلة الكفاح المسلح وهو ما أقرته لائحته السياسية التي نصت على : " ...إنّ إعادة السيادة التونسية لا يمكن أن تتحقق عن طريق الترقيع والإصلاحات الجزئية للنظام الحالي فإنّ مؤتمر الحزب يؤكد على إلغاء الحماية وتحول تونس إلى دولة مستقلة ذات سيادة وعقد معاهدة بين تونس وفرنسا وتنسيق على أساس المساواة في علاقة الدولتين " [71].

وفي الإطار التحضيري للعمل المسلح عقدت عدّة اجتماعات بمدنين شرع المشرفون في تكوين لجان سرية بالمنطقة تدعوا إلى ضرورة مواجهة فرنسا عسكريا ، وتكونت عصابات المقاومين بحركة " الفلاقة بداية من جانفي 1952 [72]،ونشطت حركة الفلاقة خارج أوامر الأحزاب الوطنية وأن عمل الحزب الدستوري الجديد لاحقا على تأطيرها وتوجيهها دون اعتراف رسمي ،وفي المقابل تدعمت المقاومة بالشكل السلمي الذي تمثل في مظاهرات صاخبة وإضرابات عمّت المدن والقرى التونسية ، ومنها هجوم المناضلين المضربين على عربات الترام في العاصمة بباب السويقة ،ومسيرة في سوسة في 22 جانفي 1952 شارك فيها عدد كبير من القرى المجاورة ،كما نظم سكان المكنين والقرى المجاورة في 23 جانفي مظاهرة هاجموا فيها قوى الشرطة وأسفرت عن مقتل 4 شرطيين وجرح عدد من المواطنين ، وواجهت القوات الفرنسية هذه المظاهرات بأساليب قمعية[73].

واتسمت المقاومة في الثلاث أشهر من سنة 1952 بمجموعة من المناوشات الخفيفة والكمائن التي كان الهدف من ورائها إثارة الإضطراب والهلع في صفوف القوات الفرنسية ومحاولة ضرب المصالح الحيوية لفرنسا ومن أهم المناوشات والمعارك نذكر :– موقعة تاجرة التي يرجع تاريخها إلى 08 فيفري 1952 وتمثلت في مرابطة مجموعة

---

[69] محمد ذويب ،الفلاقة واليوسفية ، ص 92.

[70] . المرجع نفسه ،ص 118.

[71] .عميرة علية الصغير ، اليوسفيون وتحرر المغرب العربي ، المغاربية للطبع والنشر والإشهار ،،تونس ، ط2 ، 2011،ص 14.

[72] . محمد ذويب ، الفلاقة واليوسفية ،93، ص 118.

[73] .خايفة الشاطر وآخرون ، المرجع السابق ،ص 151.

من الثوار بمنطقة تاجرة شمال مدنين لشاحنتين عسكريتين قادمتين من رمادة في اتجاه قابس وإطلاق النار عليها بكثافة،ومعركة وادي الخيل يوم 14 مارس 1952 وتمثلت في إطلاق النار م نقبل مجموعة تتكون من 10 و11 نفرا من المقاومين على قافلة فرنسية في منطقة وادي الخيل قرب البئر الأحمر وأسفرت عن مقتل أكثر من خمسين جندي فرنسي [74]

كما عرفت المقاومة المسلحة تطورا في شكل–حرب العصابات – بالمدن والتي شنتها مجموعة مسلحة أطلق عليه اسم الفلاقة في أوائل سنة 1953، وسيطرة مجموعة الطاهر الأسود على منطقة حامة قابس بينما سيطر الأزهر الشرايطي على منطقة قفصة.والقيام باغتيالات فردية طالت قيادات عسكرية فرنسية مثل : الملازم الأول فاشي قائد فريق الجندرمة ، والعقيد دوران قائد الحامية الفرنسية بسوسة ،واغتيال مدير الإدارة المركزية للجيش المقدم دولا بيون (De la Paillonne)، والمتعاونين مع الإدارة الإستعمارية منهم الشاذلي القسطلي نائب رئيس بلدية الحاضرة في 05/02/ 1953[75].

وشملت المقاومة مختلف المناطق التونسية ، فبالوسط قادها العجيمي بالقيروان،و بمنطقة الكاف بقيادة ساسي الأسود ،وبنزرت وتونس بقيادة محجوب بن علي وهلال الفرشيشي والاشتباك مع الجيش الفرنسي في مواقع عديدة ، حيث بلغ عدد الاشتباكات 28 اشتباكا سنة 1952 ،و11 سنة 1953 ، و95 بين مارس وأكتوبر 1954 ، وأهمها معارك جبال عرباطة وجبل إشكل وجبل قضوام ومعركة مكثر،كما تميزت في ربيع 1954 باستهداف ضيعات المعمرين بالحرق أو اغتيال مالكيها فقد تم قتل 05 منهم بجهة الكاف في 26 ماي 1954 .[76]

4– نتائج المقاومة : يمكن إيجاز نتائج المقاومة في مايلي :

1.4– داخليا :

–تسجيل خسائر كبيرة في صفوف القوات الفرنسية ، مما أجبر فرنسا على تخصيص قوات إضافية لحماية المنشآت العامة والمستوطنات وتعقب المقاومين فقد كانت المحاكمات العسكرية تنفذ أقصى العقوبات ضد المواطنين منها الإعدام ،أما عدد الذين قضوا في هذه المواجهات فقدر عددهم ب288 مقاوم [77].

– تعيين ببيار فوازار –Pierre Voizard– مقيما عاما في شهر سبتمبر 1953،ومطالبة الوطنيون من الشعب الهدوء انتظارا للإصلاحات التي سيعلن عنها المقيم العام ، لكن وفي أيامه الأولى تمّ اغتيال " الهادي شاكر " أحد زعماء الحركة الوطنية في 13 سبتمبر 1953 من طرف اليد الحمراء [78].

---

[74] . يذكر محمد ذيب معارك أخرى حادثة السمار بتطاوين ، وثكنة جربوب بمدنين ، وحادثة خزان الماء ، محمد ذويب ، المرجع السابق ،ص 118 – 119.

[75] . موجز تاريخ الحركة الوطنية ، مقاربة ،ص 163.

[76] الدقي ، تونس من الأيالة الى الجمهورية ،ص 196.

[77] . يذكر البهلوان ان المحاكم العسكرية حكمت على 12 وطنيا بالاعدام وتم تنفيذه ، انظر: البهلوان ، تونس الثائرة ،ص 448.

[78] .مجموعة مؤلفين ، موجز تاريخ الحركة الوطنية ،ص156.

– تعيين وزارة من طرف الراي العام التونسي في 03 مارس 1954 برئاسة محمد صالح مزالي لتخلف وزارة البكوش– التي كانت لها معارضة كبيرة من الشعب وكانت هذه الوزارة مشكلة من الموالين للإدارة الفرنسية ولا يمثلون أيّ جزء من الرأي العام التونسي وتم تأليفها بعد مباحثات بين المقيم الفرنسي والإداريين التي كانت لها معارضة كبيرة من الشعب ،

–تقديم المقيم العام "فوازار" لمجموعة من الإصلاحات وافق عليها الباي وحكومته تمنح التونسيين الأغلبية في مجلس الوزراء وإلحاق الكتابة العامة بالوزير الأكبر،وإحداث مجلس تشريعي مشترك متساو بين التونسيين والفرنسيين،ولكن تمّ رفضها من طرف المنظمات السياسية والعمالية في 15 أفريل 1954 ،

– تنفيذ سياسة إبادة في حق التونسيين في شهر ماي 1954 من طرف المقيم العام فوازار كرد فعل على المقاومة التي قام بها الوطنيون والتونسيون بانقياده للمتطرفين من المعمرين والفرنسيين ولتغطية فشل سياسته الإصلاحية التي عارضها التونسيون [79].

2.4– خارجيا:

–كسب تونس لتأييد عربي وآسيوي ،فكراتشي ودلهي الجديدة أبدت حرصا على القضية التونسية ودعم لها في مؤتمر الاشتراكيين المنعقد فيجانفي 1953 بمدينة "رانقون "بخطاب حاد ألقاه الطيب سليم ،وحكم المؤتمر ضد السياسة الفرنسية .

– إدراج القضية التونسية ضمن جدول أعمال الأمم المتحدة من 04الى 12 ديسمبر 1952ومساندة الدول الإفريقية والأسيوية بتصويت 44 صوتا ضد 3 واحتفاظ 8 بأصواتهم ،وصادقت الجمعية العامة في 17 ديسمبر 1952 بأغلبية ساحقة على اللائحة اللاتينية الامريكية المتضمنة مواصلة الطرفان الفرنسي والتونسي التفاوض بينهما في سبيل تمكين التونسيين من القدرة على ادارة شؤونهم بنفسهم "[80].

هذه التطورات التي عرفها النضال التونسي وجمعه بين العمل العسكري والسياسي ، ساهمت في الضغط على الحكومة الفرنسية وجعلها تراجع حساباتها في تعاملها مع الوضع التونسي ، والبحث عن حلول نتيجة الضغط على الجبهتين الداخلية والخارجية .

---

[79] . عن الاجراءات التي طبقها فوازار بهدف القضاء على المقاومة التونسية انظر :البهلوان ، المصدر السابق ،ص ص 448– 450.

[80] . شارل اندري جوليان ،افريقيا الشمالية تسيير القوميات ...،ص 296.

المحاضرة السادسة: المفاوضات الثانية والاستقلال: 1954-1956 –

أمام تطورات الوضع الداخلي التونسي وتصاعد المقاومة والكفاح المسلح مع العمل الدبلوماسي الخارجي ، وعجز السلطة الفرنسية بإصلاحاتها وباستعمال قوتها في إخماد لهيب العمل المسلح في مختلف المناطق التونسية وتصاعد العمل الحزبي والجمعوي بأساليبه النضالية المختلفة ، لم يعد من خيار أمام الحكومة الفرنسية إلا القبول من جديد بالتفاوض مع الحكومة التونسية .

1– اتفاقيات 03 جوان 1955:

.1.1– أسباب المفاوضات :

- الخسائر المادية والبشرية التي تكبدتها فرنسا بسبب المقاومة والكفاح في تونس .
- فشل الإصلاحات المتتالية ، وعدم قبولها من طرف الوطنيين وأهمها إصلاحات فوازار الأخيرة .
- انهزا فرنسا في معركة ديان بيان فو بالهند الصينية في 07 ماي 1954 بقيادة الجنرال جياب

مما أثار دهشة الشعوب المضطهدة وتطلعاتها نحو الحرية .

–سقوط حكومة " لانيال " الفرنسية في 18 جوان 1954 من طرف الجمعية الوطنية الفرنسية بعد فشلها في الهند الصينية ، وتعيين حكومة جديدة بقيادة " بيار منديس فرانس ".

– زيارة بيار منديس فرانس إلى تونس في 31 جويلية 1954 بداية الإعلان عن الشروع في المفاوضات مع التونسيين بناء على قوله : " إنّ الحكومة الفرنسية تعترف بالاستقلال الداخلي للدولة التونسية بدون قصد خفي ،وهي حريصة في نفس الوقت على تأكيد ذلك من حيث المبدأ والعمل على أن توفر لتحقيقه جميع حظوظ النجاح"[81].

2–إجراء المفاوضات :

تقرر إجراء مفاوضات بين الطرفين لتحديد وضبط العلاقات الجديدة فتكونت وزارة تفاوضية في 08 أوت 1954 تضم ثلاث شخصيات دستورية منهم المنجي سليم ، وكان بورقيبة وراء المفاوضات وله تدخلات حاسمة [82]،وانطلقت المفاوضات في باريس في 13 سبتمبر 1954، وامتدت ثمانية أشهر أمام تعنّت الفرنسيين وإصرارهم على إشراك الجالية الفرنسية في المجالس النيابية وبعد مفاوضات عسيرة تم توقيع اتفاقيات 03 جوان 1955 التي تعترف بالإستقلال الداخلي ،وتقضي بتحويل السلطة إلى التونسيين باستثناء تحديدات ونقائص تختصّ بالأمن والقضاء والسيادة الخارجية والإستقلالية الاقتصادية والثقافية والتواجد العسكري الفرنسي بتونس ، فالاتفاقية في الشؤون الخارجية سمحت بإحياء الدولة التونسية وبإلغاء الفصل الأول من اتفاقية المرسي ، وإبطال حق المقيم العام الذي أصبح مندوبا ساميا في الإشراف على الإدارة وإصدار القوانين ، وتحديد مدّة الإتفاقيات مشروط زمني بـ

---

[81]. القصاب.المرجع السابق ،ص 649.

[82] .كانت له مشاورات سرية مع مانديس فرانس والذي كانت تربطه به علاقة صداقة فأظهر بورقيبة استعداده في التحاور مع الحكومة الجديدة ,أفضت هذه الاتصالات على موافقته على مبادرة الحكومة الفرنسية .القصاب ، المرجع السابق ،ص 649.

20 سنة للأمن و15 سنة للقضاء ،وكذا تونسية الإدارة رغم مكتسبات الموظفين الفرنسيين ،وللفرنسيين الحق في تمثيل عن طرق الانتخاب في البلديات حسب العدد [83].

2-**أزمة الإستقلال الداخلي** : أحدثت اتفاقيات الإستقلال الداخلي تباينا بين الأطراف الوطنية التونسية بين مؤيد ورافض لها.

-الموقف الرافض :قوبلت الإتفاقيات بالرفض من طرف الأوساط المنادية بالإستقلال التام وفي طليعتهم الحزب الدستوري القديم ،وصوت الطالب الزيتوني ،وصالح بن يوسف الأمين العام للحزب الدستوري الجديد الذي عبر عن تحفظه إزاء المفاوضات ،وعقد في 10 جويلية 1955 ندوة صحفية بمقر إقامته بجنيف خصصها لمهاجمة اتفاقياتالإستقلال الداخلي على أساس أنها:- لاتلغي معاهدة باردو بقدر ما تكرسها ،-لا تقرّ بالسيادة الخارجية والدفاع – محافظة الفرنسيين على حق التقاضي أمام محامهم الخاصة وتناقضه مع مبدأ السيادة الحرة –محافظة فرنسا على حق مراقبة الحدود حتى بعد مرور آجال 22 سنة – الإتفاقيات الإقتصادية تضمن وتؤيّد الحالة الإستعمارية في السيطرة على الثروات وإدماج الاقتصاد التونسي ضمن الإقتصاد الفرنسي –تكريس التبعية الثقافية لفرنسا من حيث ترتيب اللغة الفرنسية حسب النص ومحافظتها على حرية التعليم الفرنسي ومؤسساته [84] .

-**الموقف المؤيد** : مثّل هذا الموقف زعيم الحزب الدستوري الحبيب بورقيبة والذي كان مخالفا لما يراه صالح بن يوسف حيث كان يعتبره خطوة إلى الأمام نحو استعادة السيادة كاملة لأنّ الإتفاقية سمحت بإحياء الدولة التونسية من جديد بإلغاء الفصل الأول من اتفاقية المرسى ، كما أبطلت حق المقيم العام الذي أصبح من مندوب سامي إلى مجرد وسيط في تونس بين حكومة فرنسا والحكومة التونسية .إضافة إلا أن الاتفاقية مرتبطة بزمان ولسيت دائمة ، كما يرى بأنها تسمح للدولة التونسية والقوى الوطنية من وضع جديد يسمح من العمل بحرية دون خسائر ودون عنف ،ما يمكن الدولة التونسية من استكمال مقومات السيادة ،بما يقابله من طمأنة الجانب الفرنسي على ضمان مصالحه وإقناعه بضرورة السير أكثر في التعجيل بالتفريط بمقاليد السيادة [85].

وأخذ هذا الرفض منحى تصاعدي عندما عاد صالح بن يوسف لتونس في 13 سبتمبر 1955، وشدّد على ضرورة رفض الإستقلال الداخلي انطلاقا من خطاب في يوم 07 أكتوبر 1955 من جامع الزيتونة ، وقد ورد مقتطف نشرته جريدة البلاغ على لسانه :" ..رجعت لأقول لكم يجب أن أقول بصراحة فكان ما كان ،ولقد أردت بهذا أن أغلق الباب في وجه فرنسا لكي لا تقول إن هذا الشعب قد رضي ما رضي به الإستعمار الفرنسي وأنّ هذه الإتفاقيات خطوة إلى الوراء ، وهو ما أردت أن أوضحه داخل حزبنا لأننا حزب ديمقراطي منظم ولنا منظمات قومية منظمة والشعب ما زال له الحق بأن يقول كلمة في هذه الاتفاقيات ..."[86] .

---

[83] .وهذا ما ورد في المادة الرابعة للتفاصيل أنظر ، الاتفاقية التونسية الفرنسية 03جوان 1955 ، الارشيف الوطني التونسي ، ص .6

[84] . عميرة علية الصغير، المرجع السابق ، ص22.

[85] . نفسه ،ص 24- 25.

[86] . نفسه ،ص 40.

وقد كان صالح بن يوسف يسعى إلى التقارب والتناغم مع جماعة الطلبة والأساتذة في طرحه ويسعى إلى تحريكهم بشعارات الدفاع عن العروبة والإسلام ومحاربة التغريب واللاّئكية، ودعا إلى الإلتحام بكفاح الشعوب المغاربية (المغرب والجزائر)،والتأكيد على الإنتماء العربي لتونس وربط ذلك بالتضامن المغاربي، ودعم حركات التحرر في المنطقة وقدحاز هذا الموقف على تأييد هام من الرأي العام ،والأوساط الزيتونية والقوى الإجتماعية المحافظة وبعض المنظمات مثل الإتحاد العام للفلاحة التونسية[87].وازدادت الخلافات تطورا بعد خطاب صالح بن يوسف عندما أقرّ الديوان السياسي عزل صالح بن يوسف من الحزب بتاريخ 12 أكتوبر1955 فردّ الأخير بفتح ناد في 30 نوفمبر 1955أطلق عليه اسم الأمانة العامة [88]الذي هو عبارة عن حزب مضاد، وسرعان ما انقسم التونسيون إلى شقّين متنازعين حول الإستقلال الداخلي رغم محاولة حسم الخلاف في مؤتمر عام بصفاقس في 15 نوفمبر 1955 ولكن غياب صالح بن يوسف لم يسمح بالإحتكام للقواعد ومكن المؤتمر بورقيبة من شرعية جديدة ودعا خصومه إلى الإلتفاف حوله وحول امانته[89].

وتطور الخلاف إلى مواجهة مسلحة بين اليوسفيين من جهة وجماعة بورقيبة وفرنسا من جهة أخرى ، وأطلق على المجموعات المسلحة الداعمة لصالح بن يوسف **الفلاقة** وتلقوا تكوينهم من الفلاقة القدامى وقدماء المحاربين الذين شاركوا إلى جانب فرنسا في الحرب الهند الصينية واستغرق تكوين القوة العسكرية للفلاقة الجدد كامل شهر ديسمبر 1955 وكان بصفة سرية ولم ينطلق نشاطها إلا في مطلع 1956 باشتباكات مسلحة[90] مما أدّى إلى سقوط قتلي من الجانبين ووصول البلاد إلى حافة حرب أهلية وأفضى الأمر إلى تدخل سلاح الجو الفرنسي ، وفرار صالح بن يوسف من تونس في 28 جانفي 1956 ، وواصل معارضته للاتفاقية في المهجر وخاصة مصر.

2-المفاوضات والاستقلال : آلت الأزمة التونسية حول الإستقلال الداخلي إلى إعادة توزيع القوى السياسية في البلاد وانفراد شقّ البورقيبي بالسلطة ،كما دفع هذا النزاع الحزب الدستوري الجديد إلى التشدّد في المطالبة بالإستقلال التام ،و اضطرار الحكومة الفرنسية بقيادة غي مولي باستقلال تونس من حيث المبدأ ، بعد مفاوضات سريعة يوم 20 مارس 1956 والإمضاء على بروتوكول الإستقلال بين كريستان بينو عن فرنسا والطاهر بن عمار عن تونس وقد تضمن البروتوكول مايلي :

- الإعتراف الصريح باستقلال تونس في نطاق التكافل مع فرنسا – الإعلان بأنّ معاهدة باردو في 12 ماي 1881 غير صالحة كأساس للعلاقات بين فرنسا وتونس ووضع حد للحماية الفرنسية للبلاد التونسية – تعديل نصوص اتفاقية الحكم الذاتي 03 جوان 1955 أو الغاؤها بما يتناسب مع الوضع الجديد – حق تونس في مباشرة نشاطها في ميادين الشؤون الخارجية والأمن والدفاع وتأليف جيش وطني تونسي – التوصل إلى تنظيم تعاون بين

---

[87] .جريدة الزهرة ، 06 جانفي 1955 .

[88] . علية الصغير ،اليوسفيون وتحرر المغرب العربي، ص 50ومابعدها

[89] .القصاب ، المرجع السابق ،ص 656.

[90] محمد ذويب ، الفلاقة واليوسفية ، ص 153.

فرنسا وتونس في ميادين المصالح المشتركة المتعلقة بالشؤون الخارجية وتحديد أشكال الإعانة الفرنسية للجيش الوطني .

3-إستكمال السيادة التونسية :

بعد توقيع بروتوكل الاستقلال ولجوء بن يوسف إلى مصر ،اندفعت تونس بقيادتها في استكمال سيادتها في 25 مارس 1956 بانتخاب المجلس القومي التأسيسي[91]، وأسفرت نتائج الانتخابات بفوز قائمات " الجبهة الوطنية " بكل مقاعد المجلس المائة وثمانية وكان اجتماعه الأول في 08 أفريل 1956 حضره الباي وانتخب المجلس الحبيب بورقيبة رئيسا له ودعي في 14 أفريل لتشكيل أول حكومة في تونس المستقلة ، وخلفه في رئاسة المجلس التأسيسي جلولي فارس.

وبعد بضعة أشهر أعلن عن قيام النظام الجمهوري في 25 جويلية 1957 وأخذ بورقيبة ورفقاؤه مقاليد الحكم بالبلاد . و تم إصدار دستور الجمهورية في 01 جوان 1959 بعد ان استغرقت صياغته أكثر من ثلاث سنوات ، يقرّ بالنظام الجمهوري والسيادة الشعبية في صيغته الرئاسية وبما يتضمنه من حريات أساسية ، وتجسيد طموحات الإدارة وعصرنتها وتعويض غالبية الموظفين الفرنسيين بتونسيين ، وإصلاح الإدارة الجهوية ببعث سلك الولاة وتحديد شموليا‌تهم ونفوذهم كممثلين للسلطة المركزية،وتعويض القيادات بالولايات وتخفيض عددها من 37 إلى 14 ولاية .وقوانين أخرى تنظيمية تم إصدارها مثل قانون إصلاح النظام البلدي ، وإصلاح النظام القضائي والإعلام وغيرها [92].

كما انطلقت المطالبة بجلاء القوات العسكرية عن تونس بداية من جوان 1956 من طرف الحكومة التونسية ، غيران الحكومة الفرنسية رفضت ذلك متعللة بحاجتها إلى " قواعدها التونسية " لحماية المعمرين في المناطق المجاورة وتدعيم جيشها المحارب بالجزائر ، لكن التطورات في تونس بدأت تأخذ منحى تصعيدي بدءا بالمظاهرات وصولا إلى المواجهة المسلحة في الجنوب في ماي 1958 ، وببنزرت في جويلية 1961 وما نتج عنها من خسائر بشرية في الصفوف التونسية بألف قتيل حسب الإحصائيات ، وبهذا تمكنت تونس من إجبار القوات الفرنسية على الجلاء من كافة التراب التونسي يوم 15 أكتوبر 1963 [93].

كانت ثمرة النضال التونسي بمختلف أطيافه السياسية والجمعوية والشعبية وما قدّمه من تضحيات هو الحصول على الإستقلال التام ، وخروج فرنسا منهزمة بعد مايقارب 75 سنة قضتها في تونس تحت مسمى الحماية ، وفشل نظامها الإستعماري .

---

[91] . تشكلت الجبهة الوطنية من الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد وتحالفه مع الإتحاد العام للشغل ، والإتحاد التونسي للصناعة والتجارة ، والاتحاد القومي للفلاحين الذي وقع تأسيسه في 02 ديسمبر 1955 إلى جانب عدد من المستقلين ، الدقي ، تونس من الايالة الى الجمهورية ،ص 211.

[92] . مجموعة مؤلفين ، موجز الحركة الوطنية التونسية ،ص ص 185- 186.

[93] .خلفية الشاطر وآخرون ،المرجع السابق ،ص 182.

مراجع المحاضرات :

-علي المحجوبي ، جذور الحركة الوطنية التونسية 1904-1934 ، تعريب عبد الحميد الشابي ، المجمع التونسي للعلوم والفنون والآداب ، بيت الحكمة ، تونس ، 1999.

– أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881- 1956 ، تر: حمتدي الساحلي ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ط1، 1986.

- الذوادي، زهير ، تحولات العمل الوطني التونسي في السنوات الثلاثين 1929- 1939 ، الأطلسية للنشر ، تونس ، ط1 ، 2003.-

- سمير البكوش ، الواقع السياسي بتونس من خلال الجمعيات الثقافية 1936- 1952،مركز النشر الجامعي منوبة، تونس ،2010.

-الدّقي نور الدين الدقي ، تونس من الأيّالة إلى الجمهورية 1814 – 2014 ، سلسلة البحوث المنشورات الجامعية بمنوبة ، ط1 ، منوبة . تونس 2016.

– الذوادي، زهير ، تحولات العمل الوطني التونسي في السنوات الثلاثين 1929- 1939 ، الأطلسية للنشر ، تونس ، ط1 ، 2003.

– كريم عبد المجيد ،هلالي عبد الحميد ، حفيظ طبابي ،فيصل الشريف ، خالد عبيد ،عميرة علية الصغير ،موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية – مقاربة 1881- 1964 ، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس ، 2008.

– الشاطر خليفة ، يحي الغول ، نور الدين الدقي ،محمد لطفي الشابي ،توفيق العيادي ،عبد السلام بن حميدة ، عبد الجليل بوقرة ، تونس عبر التاريخ – الحركة الوطنية ودولة الإستقلال ، ج3 ، مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية ، تونس ، 2005 .

– العياشي ،مختار،الزيتونة والزيتونيون في تاريخ تونس المعاصر 1883- 1958 ،مركز النشر الجامعي ،تونس، 2003 .

- شارل اندري جوليان ، افريقيا الشمالية تسيير ،ترجمة المنجي سليم وآخرون ، الدار التونسية للنشر ،تونس ، 1976.

-الحبيب ثامر ، هذه تونس ،مطبعة الرسالة ، د،ت.

– بن عاشور،محمد الفاضل ، الحركة الادبية والفكرية في تونس – في القرنين 13-14هـ/ 19-20م مراجعة : محمد المختار العبيدي ، المجمع التونسي للعلوم و الآداب والفنون بيت الحكمة ، تونس ، 2009.

– البهلوان علي ، تونس الثائرة ، مؤسسة هنداوي سي آي سي ، المملكة المتحدة ، 2017.

– عبد الله ،الطاهر ،الحركة الوطنية رؤية شعبية قومية1830-1986،دار المعارف للنشر والتوزيع ،تونس ، 1990.

إدريس الرشيد ، في طريق الجمهورية : مذكرات ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2001.

- الطاهر عبد الله ، الحركة الوطنية التونسية، رؤية قومية شعبية ،ص 212.

– مأساة عرش ، سلسلة من الحقائق التاريخية والوثائق السياسية ، تقديم :مكتب الإستعلامات ، اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري التونسي ، 1367هـ/1947م، ص 13.

-المدني ، أحمد توفيق ،حياة كفاح ، 1898-1983، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1976.

-عميرة علية الصغير ، اليوسفيون وتحرر المغرب العربي ، المغاربية للطبع والنشر والإشهار ،،تونس ، ط2 ، 2011.

-Ben salem Mohamed ,L'antichambre de l'indépendance 1947-1957.Tunis ,Cérés Production ,1988.

-Hamza Raouf Hassine ,Communisme et Nationalisme en Tunise , De La Libération a L'indépendance 1943- 1956 .Université de tunis 1.1994

-Zmerli Sadouk , Espoire et déceptions en tunisie 1942- 1943 . Maison Tunisienne de L'dition .Tunis